دراسات، علوم الشريعة والقانون، المجلّد 43، ملحق 1، 2016

الفطرة مفهومها وإمكانية الاستدلال بها على وجود الله ووحدانيته – سبحانه وتعالى

*خليل عبد الحميد العبادي**

ملخص

تتناول الدراسة أقوال العلماء في بيان مفهوم الفطرة وإمكانية الاستدلال بها على إثبات وجود الله ووحدانيته – سبحانه وتعالى–. مبيناً بداية معنى الفطرة لغة واصطلاحاً، ثم إمكانية الاستدلال على وجود الله عن طريق الفطرة، وأنهي البحث في إمكانية الاستدلال على وحدانيته تعالى عن طريق الفطرة؛ ذلك من أجل الوصول إلى النتيجة التي تقرر إمكانية الاستدلال على وجود الله ووحدانيته عن طريق الفطرة.

الكلمات الدالة: الفطرة، الاستدلال، الوحدانية.

المقدمـــة

الحمد لله حق حمده، والصلاة والسلام على خير خلقه، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، توحد في ذاته وأفعاله ونعته، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، اصطفاه من بين أنبيائه وخلقه ورسله، أما بعد: فالبحث في الجانب الإلهي يُعد من المباحث الهامة؛ حيث تنبع أهميته من كونه يتحدث عن الباري تعالى. والمتأمل في آيات القرآن الكريم يجد قضية وجود الله تعالى والأدلة على إثباتها مبثوثة فيه. فقضية وجود الله تعالى رغم أنها قضية فطرية؛ مع ذلك فقد بحثها الإنسان منذ وجوده.

هذا وقد تنوعت أدلة العلماء في إثبات وجود الله تعالى؛ فكان لكل طريقته في إثبات وجود الصانع فمنهم من تكلم من واقع نظره فقال:"البعرة تدل على البعير والأثر يدل على المسير، فسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج ألا تدل على اللطيف الخبير" (الجاوي، 1955). ومنهم من غاص في بحر العلوم لكي يتوصل إلى دليل على وجود الله فقال بدليل الحدوث أو بدليل الممكن والواجب (التفتازاني، 2001). وهنالك من استدل على وجود الله تعالى من واقع السائل؛ كيف يلجأ في شدته إلى الله تعالى؟ (الرازي، 1417 هـ)

إلا أن هنالك من اكتفى بأدلة القرآن الكريم وما جاء فيه لإثبات هذه القضية (اللالكائي، 2007).

فقضية وجود الله تعالى يُعد المرجع الأول فيها كتاب الله تعالى؛ الذي "لم يكن يلقي القول على عِلاته، وإنما يأتي بالقضية مبرهنا عليها بالدليل تلو الدليل: فيرضى العقل، ويطمئن النفس، ويقود الضمير إلى الإذعان" (عبد الحليم، 1964).

فلقد جاء في القرآن الكريم من الآيات ما يُستدل بها على وجود الله تعالى، وهذه الآيات تضمنت كل ما عداها من الأدلة قديمة كانت أم حديثة، رغم اختلاف أساليب التعبير، بحسب اختلاف البيئة أو الزمن.

بعد هذا العرض السريع لهذه الآراء، يظهر من خلالها أن العلماء قد اتفقوا في النتيجة – وهي إثبات وجود الله تعالى– وإن اختلفت أدلتهم في ذلك، حيث أن "نتاج الفلسفة الصحيحة، الذي انتهى إليه أكابر عقول الفلاسفة، وتلاقوا عليه، لا يتنافى أبداً مع الدين الحق، في إثبات وجود الله، بل يؤيد هذا الإثبات بالنظر العقلي الخالص، الذي تتلاقى فيه عقول الأكابر، من رجال الدين، مع عقول الأكابر من الفلاسفة على أدلة واحدة" (الجسر، 1969).

مع ذلك ورغم أن وجود الله تعالى أوضح من أن يبرهن عليه فقد وجد في كل الأزمنة من "جحدوا الصانع المدبر العالم القادر، وزعموا: أن العالَم لم يزل كذلك بنفسه لا بصانع ولم يزل الحيوان من النطفة، والنطفة من الحيوان، كذلك كان وكذلك يكون أبدا" (الغزالي، بدون) لذلك تجد في القرآن الكريم العديد من الآيات، التي تَرُدّ على مثل هؤلاء، ومن ذلك قوله تعالى: {أَفِي اللّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ} [سورة إبراهيم: 10] فالأدلة على وجود الله تعالى، مبثوثة في آيات القرآن الكريم، وفي ذلك يقول العقاد: فإنه " لم تتكرر البراهين على إثبات وجود الله في كتاب من كتب الأديان المنزلة كما تكررت في القرآن الكريم." (العقاد، 1964) لقد أرشدنا القرآن الكريم في معرض حديثه عن إثبات وجود الله تعالى ووحدانيته إلى الرجوع إلى الإحساس الداخلي المتمثل بالفطرة الموجودة داخل كل

* جامعة العلوم الإسلامية العالمية، الأردن. تاريخ استلام البحث 2014/11/3، وتاريخ قبوله 2015/3/22.

© 2016 عمادة البحث العلمي/ الجامعة الأردنية. جميع الحقوق محفوظة.

إنسان، وما هذه الدراسة إلا دعوة إلى العودة إلى هذه الفِطر السليمة ونبذ كل ما خالطها من أفكار إلحادية ومادية.

موضوع الدراسة وأهميتها

تتناول الدراسة مفهوم الفطرة مع بيان أقوال العلماء فيها، وهل تُعد الفطرة دليلاً أو هل يصح أن يُطلق عليها مصطلح دليل؟ بعد ذلك إن صح أن يُطلق عليها ذلك، هل تُعد دليلاً على إثبات وجود الله ووحدانيته – سبحانه وتعالى – أم لا؟ الفطرة السوية التي فطر الله الناس عليها كانت وما زالت عُرضة للانحراف، وما هذا البحث إلا دعوة إلى الرجوع إلى الفِطر السليمة لأبناء الإسلام الذين تعرضوا لأشكال الانحراف والإلحاد؛ جراء التقليد الأعمى للغرب، والانبهار بالحضارة الغربية، فأقول لهؤلاء: هلّا جلستم مع أنفسكم ولو مدة قصيرة ثم تتفكروا بصورة صحيحة مجردة عن التزييف؟ ماذا تجدوا في أنفسكم، هل الحق مع الإلحاد الذي ينادي به الغرب؟ أم سوف تستجيبوا لفطركم السليمة التي قال الله عنها: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [سورة الروم: 30].

أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى تقرير أمور منها:

1- أرشدنا الحق تعالى إلى طرق عدة لمعرفته، وهذه الطرق لم تقتصر على العقل والتفكير، لا بل هدانا إلى طريق يشترك فيه الجميع هو الفطرة السوية.

2- من معاني الفطرة التي ذهب إليها العلماء العلم بوجود الله ووحدانيته؛ مما يجعلها طريقاً لإثبات ذلك.

3- آفة العصر تفشي الأفكار الإلحادية؛ مما جعل كثير من أبناء المسلمين يتأثر بها، لذلك لا بد من إعادتهم إلى الحق والصواب.

محددات الدراسة

الغرض من هذه الدراسة: بيان مفهوم الفطرة، وإمكانية الاستدلال بها على إثبات وجود الله ووحدانيته – سبحانه وتعالى-. ولن يبسِطَ الباحث مختلف الأدلة على إثبات وجود الله ووحدانيته – سبحانه وتعالى-، بل سيقتصر على ذكر أقوال العلماء في دلالة الفطرة فقط، التزاماً بالمسموح به من عدد الصفحات، وسهولة الوصول إليها في مظانها، – مع التنبيه: أن الباحث قد تعرض بإجمال لهذه الأدلة في مقدمته دون أن يغفل عنها-.

الدراسات السابقة

الكلام عن الفطرة كدليل على إثبات وجود الله ووحدانيته – سبحانه وتعالى- سبقني إليه الكثير؛ بل إن جل من كتب في الأدلة على إثبات وجود الله ووحدانيته – سبحانه وتعالى- قد تعرض للفطرة ومدى دلالتها على ذلك. من هذه الدراسات:

1) رسالة ماجستير تحت عنوان: "الفطرة والعقيدة الإسلامية" (حافظ الجعبري، 1979 م) من جامعة الملك عبد العزيز، ولكن جاء جُلّ هذه الرسالة في الرد على المتكلمين والانتصار لرأي ابن تيمية في المسألة، وهذا مخالف لمنهجي في هذا البحث الذي من خلاله أحاول الجمع بين علمائنا من أجل توحيد الأمة وإرجاع أبناءها إلى حظيرة الإسلام بعد ابتعادهم عنها واغترارهم بالغرب والإلحاد.

2) رسالة ماجستير أخرى في جامعة آل البيت للطالب (محمد سليمان الورادات) تحت عنوان: "خطاب القرآن الكريم للفطرة الإنسانية ودلالته على وجود الله"، لكن بعد الإطلاع عليها وجدت جُلها يتحدث في معاني الفطرة. وانتصار للقول بأنها الإسلام والرد على من خالف ذلك، أما عن عرضه لدلالة الفطرة على وجود الله فيختلف عن عرضي لها وإن اشتركت معه في بعض الأفكار، لكن كما يقولون كل شيخ وطريقته ولكل مجتهد نصيب. كما أنه لم يتحدث عن إثبات الوحدانية في رسالته، أما هذا البحث فيتعرض للفطرة على إثبات الوحدانية لله تعالى وليس فقط في إثبات وجوده تعالى. فالحديث عن الفطرة تكلم عنه علماؤنا سابقاً ولن ينتهي الحديث عنه كلما دعت الحاجة إليه.

3) بحث محكم قُدم لندوة جهود الشيخ ابن عثيمين العلمية، بعنوان: "موقف الشيخ ابن عثيمين من الاستدلال بالعقل والفطرة على أصول الاعتقاد" (شريفة الحازمي)، لكن يتضح من العنوان تخصيص موقف الشيخ فقط، أما هذا البحث فلم يختص بعالِم دون آخر.

منهج الدراسة

سيستخدم الباحث المنهج الوصفي: لعرض الدعوى، ولتحرير محل النزاع.

ثم المنهج الاستنباطي؛ لاستنباط أقوال العلماء في دلالة الفطرة على إثبات وجود الله ووحدانيته – سبحانه وتعالى-.

خطة البحث

تشتمل الدراسة على:

أولاً: تمهيد تُعرض فيه المسألة.

ثانياً: المبحث الأول، بيان معنى الفطرة لغة واصطلاحاً، وذلك

ضمن مطلبين:

المطلب الأول: بيان معنى الفطرة لغة.

المطلب الثاني: بيان معنى الفطرة اصطلاحاً.

ثالثاً: المبحث الثاني: الذي يبين الاستدلال على وجود الله ووحدانيته عن طريق الفطرة وذلك ضمن مطلبين:

المطلب الأول: الاستدلال على وجود الله عن طريق الفطرة.

المطلب الثاني: الاستدلال على وحدانيته عن طريق الفطرة.

ثم الخاتمة ونتائج الدراسة.

تمهيد

عرض الدعوى

كثير من أبناء الإسلام من تأثروا بالغرب وما وصلوا إليه من تقدم حضاري، لكن نتج عن ذلك دخول الإلحاد إلى أبناء الإسلام، مما جعل هؤلاء الشباب يبتعدون عن فطرهم السليمة البيضاء التي تركها عليهم نبيهم محمد – صلى الله عليه وسلم –، الأمر الذي جعل من علماء وطلاب العلم الغيورين على هؤلاء، أن يوضحوا لهم الطريق القويم السليم الذي ارتضاه لهم رب العزة – جل وعلا – بصورة ميسرة قريبة إليهم وإلى عقولهم؛ مفادها أيهم يتناسب مع فطرتك السوية؟ الإلحاد بزخارفه أم الإيمان بالله تعالى ووحدانيته؟ نعم لن أخوض معك في أدلة نقلية وعقلية بحثها العلماء للاستدلال على وجود الله تعالى، لا بل سأقتصر حديثي معك مع ما هو في داخلك، وأنت على يقين به.

نعم يوجد العديد من الأدلة على إثبات وجود الله ووحدانيته – سبحانه وتعالى– ذكرها العلماء في كتبهم، لكن العبارات الكلامية جعلت فيها نفرة من أبنائنا، حتى أنهم ابتعدوا عنها، وتأثروا بعبارات الإلحاد والغرب، هذه العبارات المليئة بالنفاق والكذب عملت على تغرير أبنائنا وإبعادهم عن الطريق الحق.

هذا البحث موجه إلى هؤلاء الشباب – معتمد فيه على أقوال من سبقني من العلماء – الذي لسان حالهم يقول لهؤلاء الشباب: إذا أصابتك ضائقة أومصيبة، إذا شعرت بحاجة شديدة ! إلى من تلجأ؟ هذه الدعوات الهدامة هل ستنجيك أم ستتخلى عنك؟ هل ستبقى تحت سيطرتها أم سيخرج من داخلك صوت هو أعلى من كل هذه الدعوات ينادي في داخلك ويقول يالله. هذا البحث يريد أن يُرجعك إلى مولاك تلك الحقيقة الراسخة في فطرتك، لإنك مهما ابتعدت عنه ستأتيك ساعة تقول فيها يا الله.

تحرير محل النزاع

يزعم من تأثر بالغرب أنهم على صواب، وأن سبب تخلف الأمة العربية والإسلامية هو تمسكها بدينها، لكن بعد هذا الكلام هل لك أن تجلس مع نفسك جلسة قصيرة تنظر من خلالها نظرة حيادية حول هذا الكلام المزعوم؟ لتجد من أعماق نفسك ما يدلك على معارضة دعواك الإلحادية لتسمع صوتاً ينادي من داخلك يقول نعم لهذا الكون إله واحد، نعم هذا ما يستقيم مع فطرتي السوية وعقلي السليم.

كما أن سبب هذه الدراسة ليس التقليل من شأن الغرب وتقدمهم العلمي والمادي؛ بل أكن لهم مكانتهم التي وصلوا إليها، مع ذلك أبين لأبناء الإسلام أن هذه الحضارة هي امتداد لحضارة الإسلام التي خدمت هذه العلوم. أما إذا خرج من يحاول التشكيك أو الطعن في وجود الله ووحدانيته متأثراً بالغرب فهنا يجب الوقوف أمامه حتى تعود النفوس إلى فطرتها السوية.

المبحث الأول

بيان معنى الفطرة لغة واصطلاحاً

تدور الدراسة حول بيان مفهوم الفطرة وإمكانية الاستدلال بها على وجود الله ووحدانيته – سبحانه وتعالى–، بداية اعلم أن وسائل الإدراك في الإنسان متنوعة، منها ما يرجع إلى الحواس، وتتميز المدركات بالحواس بأنها مشاهدة أو محسوسة. وهنالك مدركات تأتي عن طريق العقل وهي التي ينتهي إليها الفكر.

لكن هنالك مدركات لدى الإنسان لا تأتي من هذين الطريقين، فمثلاً: عندما يشعر الإنسان بالجوع، فبأي شيء يشعر بذلك؟ بحواسه أم بعقله؟ الجواب لا هذا ولا ذاك.

إذن فهنالك وسيلة أخرى للمدركات غير الحواس والعقل.

من هذه الوسائل الفطرة التي فطر الله تعالى الناس عليها، والتي من خلالها يتوصل الإنسان إلى الإقرار بوجود قوة وراء هذا الكون، هذه القوة هي الله – جلّ وعلا–.

فالفطرة السليمة تعد من أقرب الدلائل على وجود الله تعالى في الإنسان؛ لأنها نابعة من داخله ووجدانه.

بداية أبين معنى الفطرة في المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: معنى الفطرة لغة

الفَطْرُ الشَّقُّ. وفَطَرَهُ يَفْطِرُهُ ويَفْطُرُهُ شَقَّهُ فانْفَطَرَ وتَفَطَّرَ، طَلَعَ، فطر اللّهُ الخَلْقَ: خَلَقَهُم، وبَرَأهُم، الأمرَ: ابْتَدَأهُ، وأنْشَأه، والفِطْرَةُ الخِلْقَةُ التي خُلِقَ عليها المَوْلودُ في رَحِمِ أمِّهِ، والدِّين." (الفيروزآبادي، 1301 هـ).

جاء في كتاب لسان العرب: " الفَطْرُ الابتداء والاختراع والفِطرَةُ منه الحالة كالجِلْسةِ والرِّكْبةِ، والمعنى أَنه يُولَدُ على نوع

من الجِبِلَّةِ والطَّبْعِ المتهيئ لقبول الدِّين فلو تُرك عليها لاستمر على لزومها ولم يفارقها إلى غيرها.

وإنما يَعْدل عنه من يَعْدل لآفة من آفات البشر والتقليد ثم بأَولاد اليهود والنصارى في إتباعهم لآبائهم والميل إلى أَديانهم عن مقتضى الفِطْرَةِ السليمة وقيل معناه كلُّ مولودٍ يُولد على معرفة الله تعالى والإقرار به فلا تَجِد أَحداً إلا وهو يُقِرّ بأَن له صانعاً وإن سَمَّاه بغير اسمه ولو عَبَدَ معه غيره" (ابن منظور، 1999).

هذه المعاني اللغوية للفطرة يستنبط منها، أن الله تعالى عندما خلق الإنسان جعل فيه ما هو صالح لاستقبال الدين الحق، وهذا المعنى هو الذي أبحث عنه في عقول وقلوب أولئك الشباب المتأثرين بالغرب لدرجة الإلحاد، وهذه المعاني ذكرها علماؤنا في تعريف الفطرة اصطلاحاً وهذا ما أبينه في المطلب الثاني.

المطلب الثاني: معنى الفطرة اصطلاحاً

أورد العلماء العديد من التعريفات للفطرة عند بيان مفهومها ولم يقتصروا على تعريف واحد؛ يرجع السبب في ذلك إلى النظر لمفهوم الفطرة من جانب دون آخر أو الاستناد على أثر من الكتاب أو السنة دون آخر أو الرجوع إلى المعنى اللغوي لها. ومن هذه التعريفات:

أولاً:"الفِطْرةُ بالكسر الخِلقة" (الرازي، 2007).

ثانياً: "فطرة يعني على البدأة التي ابتدأهم عليها، أي على ما فطر الله عليه خلقه من أنهم ابتدأهم للحياة والموت والشقاء والسعادة وإلى ما يصيرون إليه عند البلوغ من ميولهم عن آبائهم واعتقادهم وذلك ما فطرهم الله عليه مما لا بد من مصيرهم إليه" (الرازي، 2007).

ثالثاً: "الفطرة هي الصفة التي يتصف بها كل موجود في أول زمان خلقته" (الكفوي، 1998).

رابعاً: "الفطرة الإسلام" (الكفوي، 1998).

خامساً: "الفطرة إشارة إلى أخذ الميثاق من الذر" (الكفوي، 1998).

سادساً: "الخِلقة التي خلق عليها المولود في المعرفة بربه فكأنه قال كل مولود يولد على خِلقة يعرف بها ربه إذا بلغ مبلغ المعرفة يريد خلقة مخالفة لخلقة البهائم التي لا تصل بخلقتها إلى معرفة ذلك" (ابن عبد البر،1999).

سابعاً: أورد الإمام نظام الدين النيسابوري (ت بعد729 هـ) في تفسيره غرائب القرآن ورغائب الفرقان: "وفطرة الله هي التوحيد الذي تشهد به العقول السليمة والنظر الصحيح " (النيسابوري، 1996).

ثامناً: "الفطرة الجبلة المتهيئة لقبول الدين" (الجرجاني، 1983).

بعد هذا العرض لأقوال العلماء حول معنى الفطرة؛ تجد أن الأقوال الثلاثة الأولى اعتمدت في بيانها لمفهوم الفطرة على المعنى اللغوي وأصل الكلمة لغة، هذا يظهر جلياً عند مقارنته بما سبق من بيان معنى الفطرة لغة. أما القول الرابع فهو مبني على أدلة من الكتاب والسنة كقوله تعالى: { فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ }[سورة الروم: 30] فالدين الحنيف هو الإسلام.

ويؤكد هذا الرأي قول النبي – عليه السلام–: "كل مولود يولد على الفطرة." (البخاري، 2001) ففي الحديث لم يقل أو يسلمانه دليل على أنه يولد على الإسلام.

لكن ما هو الإسلام؟ خير من يجيب على هذا السؤال هو النبي – عليه السلام– حيث قال: "الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا" (مسلم، 1420 هـ) معلوم أن الإنسان حين يولد لا يعلم ما هي الصلاة ولا الزكاة ولا الحج، فكيف تقول أن المولود يولد على الفطرة وهي الإسلام وهو لا يعلم ذلك.

لكن إذا قلت أن المقصود من الإسلام هو الإيمان بالله مصداقاً لقوله – صلى الله عليه وسلم–: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله." (البخاري، 2001) وأن الإسلام هو الدعوة لتوحيد الله وأن هذا هو الدين الحنيف الذي دعا إليه الأنبياء من قبل، قال تعالى: { لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ } [سورة الأعراف: 59]. فإذا كان المقصود من ولادة المولود على الفطرة أنه يولد على التوحيد وهي عقيدة الإسلام خلافاً لليهودية والنصرانية والمجوسية التي لا تقر بوحدانية الله تعالى؛ هنا تعلم مقدار التوافق مع الرأي الذي جاء بعده والذي يشير إلى أخذ الميثاق على العباد الوارد في الآية { وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا } [سورة الأعراف: 172].

يقول الإمام الطبري – رحمه الله – في تفسير هذه الآية: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد – صلى الله عليه وسلم –: واذكر يا محمد ربَّك إذ استخرج ولد آدم من أصلاب آبائهم، فقرَّرهم بتوحيده، وأشهد بعضهم على بعض شهادَتَهم بذلك، وإقرارَهم به" (الطبري، 2001).

يتبين من كلام الإمام الطبري أن الفطرة المشار إليها في عالم الذر هي التوحيد الذي تقبله النفس البشرية لذلك تجد

توافقاً أيضاً مع الرأي السادس ولا يختلف مع قول الإمام النيسابوري بأن الفطرة هي التوحيد، وخلق المولود مع معرفته بوجود الله تعالى ووحدانيته يكون عنده قابلية لقبول الدين وهذا مفاد الرأي الذي يليه.

بعد هذا التأمل في أقوال العلماء في مفهوم الفطرة؛ تجد موافقة وإن لم تكن صريحة في حقيقة الفطرة التي أجمع عليها الباحثون في تاريخ الأمم والأديان والحضارات، فقد وجدوا الإنسان منذ أقدم العصور يتدين ويتعبد ويؤمن بإله. حتى ذكر الدكتور يوسف القرضاوي في كتابه الإيمان والحياة ما نصه " لقد وجدت في التاريخ مدن بلا قصور، ولا مصانع، ولا حصون ولكن لم توجد أبداً مدن بلا معابد" (القرضاوي، 2004).

ويؤكد هذا المعنى الدكتور دراز في كتابه الدين حين ينقل عن هنري برجسون قوله: " لقد وجدت وتوجد جماعات إنسانية من غير علوم وفنون وفلسفات، ولكنه لم توجد قط جماعة بغير ديانة" (دراز، 1980).

لهذا تجد الفطرة ليست بعيدة عن الدين بل الدين يلبي للإنسان حاجاته الفطرية لذلك تجد: " الإنسان متدين بفطرته، ومن ثم يصح أن نقول: إن التدين والاعتقاد الإيماني أمر فطري جبلي مركوز في أعماق الإنسان، لا يملك منه فكاكاً، ولا عنه بديلاً؛ إذ هو مفطور على أن يؤمن ويعتقد" (أبو خليفة، 2007).

وهنا تكتمل أضلاع المثلث الثلاثة في علم الإيمان اليقيني وهي: "جاء به الوحي، يوافق العقل السليم، تشهد له الفطرة السوية" (أبو خليفة، 2007).

نعم هذه هي الفطرة السوية التي تدلنا على الله تعالى، وحول هذا المعنى يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: " ولما كان الإقرار بالصانع فطرياً، فإن الفطرة تتضمن الإقرار بالله، والإنابة إليه، وهو معنى لا إله إلا الله فإن الإله هو الذي يعرف ويعبد" (ابن تيمية، 2011).

إذا كانت هذه هي الفطرة فلا شك أنها تُعد دليلاً لإثبات وجود الله ووحدانيته – سبحانه وتعالى–. وهذا هو محور المبحث الثاني.

المبحث الثاني
دلالة الفطرة على إثبات وجود الله ووحدانيته – سبحانه وتعالى–

ذكر رب العزة – جل وعلا– في كتابه العزيز الفطرة السوية التي خلق الناس عليها، حيث قال: { فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } [سورة الروم: 30] في هذه الآية إشارة إلى أن فطرة الإنسان لها علاقة بالدين الحنيف، لكن هل تُعد دليلاً على إثبات وجود الله ووحدانيته – سبحانه وتعالى– أم لا؟ الجواب على هذا التساؤل في المطلبين الآتيين.

المطلب الأول: دلالة الفطرة على إثبات وجود الله – سبحانه وتعالى–

بداية هل يصح أن يطلق على الفطرة مصطلح دليل أم لا؟ وقبل الجواب على هذا السؤال لا بد من بيان المقصود بالدليل؛ فالدليل "هو الذي يلزم من العلم به العلم بشيء آخر" (الجرجاني، 1983).

من خلال بيان معنى الدليل تجد أنه مبني على علم، ومعروف للقاصي والداني أن الإنسان حينما يولد لا يتمتع بأي نصيب من العلم، مصداقاً لقوله تعالى: { وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا } [سورة النحل، 78] بناء على ذلك لذلك لا تُعد الفطرة دليلاً على إثبات وجود الله ووحدانيته – سبحانه وتعالى–.

هذا الذي دفعني أن لا أضع كلمة دليل الفطرة في عنوان البحث حتى لا يكون مصادرة على المطلوب.

عند البحث عن السبب الذي جعل من علمائنا وخاصة المتكلمين عدم ذكر دليل الفطرة ضمن الأدلة على إثبات وجود الله تعالى تجد ذلك يعود إلى " القول بأن معرفة الله تعالى على الأغلب نظرية؛ أي تحتاج إلى نظر، وأن معرفة الله تعالى هي نوع من العلوم؛ لذلك لا يمكن الاستدلال عليه بالفطرة؛ لأن الإنسان يولد ولا علم معه" (فودة، 2004).

لكن المتأمل في العقيدة الإسلامية يجدها تمتاز بأنها عقيدة فطرية؛ " بمعنى أنها ليست غريبة عن الفطرة أو مغايرة لها، بل هي تلائم الفطرة وتنميها ولا تصادمها" (ملكاوي، 1425 هـ).

وحول هذا المعنى يقول الإمام الغزالي: " فكل قلب فهو بالفطرة صالح لمعرفة الحقائق؛ لأنه أمر رباني شريف فارق سائر جواهر العالم بهذه الخاصية والشرف" (الغزالي، 2004).

عند بيانه لدلالة الفطرة على وجود الله تعالى ولا وجود لتعارض بين ذلك مع الآية الكريمة { وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا }[سورة النحل، 78].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: " ونحن إذا قلنا أنه ولد على فطرة الإسلام أو خلق حنيفًا، فليس المراد به أنه حين خرج من بطن أمه يعلم هذا الدين، فإن اللَّه أخرجنا من بطون أمهاتنا لا نعلم شيئًا، ولكن فطرته مقتضية موجبة لدين الإسلام، ولمعرفته ومحبته، ومن ظن أن البشر خلقوا خالين من المعرفة والإنكار،

من غير أن تكون الفطرة تقتضي واحدًا منهما، بل يكون القلب كاللوح الذي يقبل كتابة الإيمان وكتابة الكفر، فهذا القول فاسد؛ لأنه حينئذ لا فرق بالنسبة إلى الفطرة بين المعرفة والإنكار، والتهويد والتنصير، فكان ينبغي أن يقال: يُسلّمانه ويهودانه..." (ابن تيمية، 1997).

وعند تفسيره لقوله تعالى: { لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ } [سورة الفتح، 4] يقول الإمام الرازي: " ازدادوا إيماناً استدلالياً مع إيمانهم الفطري، وعلى هذا الوجه نبين لطيفة وهي أن الله تعالى قال في حق الكافر { إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُواْ إِثْمَاً } [سورة آل عمران، 178] ولم يقل مع كفرهم؛ لأن كفرهم عنادي وليس في الوجود كفر فطري لينضم إليه الكفر العنادي بل الكفر ليس إلا عنادياً" (الرازي، 1417 هـ).

أعلم أن الإنسان لو تُرك على فطرته السليمة، دون وجود عوامل خارجية تؤثر فيه، لتوصل لحقيقة وجود الله تعالى. وهذا ما أثبته ابن طفيل في قصة حي بن يقظان؛ كيف نشأ في الغابة لوحده مع الحيوانات ثم تدرج في معرفته حتى وصل إلى حقيقة مفادها أنه "علم بالضرورة أن كل حادث لا بد له من مُحدث" (محمود، بدون).

كما يرى الإمام البوطي أن "إثبات وجود الله تعالى يبدأ من جملة من الحقائق والمبادئ الفطرية التي أجمع العلماء على ضرورتها" (البوطي، 2013).

حتى أن الذين لم يوردوا دليل الفطرة ضمن الأدلة على وجود الله ذكروا في ثنايا حديثهم عن الفطرة.

فهاهو الإمام الغزالي يقول في معرض حديثه عن إثبات وجود الله تعالى: "بل تكاد فطرة النفوس تشهد بكونها مقهورة تحت تسخيره ومصرفة بمقتضى تدبيره. ولذلك قال الله تعالى: {أَفِي اللّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ } [سورة إبراهيم، 10] ولهذا بعث الأنبياء – صلوات الله عليهم – لدعوة الخلق إلى التوحيد ليقولوا "لا إله إلا الله"، وما أمروا أن يقولوا: لنا إله وللعالم إله؛ فإن ذلك كان مجبولاً في فطرة عقولهم من مبدأ نشوهم وفي عنفوان شبابهم. ولذلك قال عز وجل: { وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ } [سورة لقمان، 25] وقال تعالى: { فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ } [سورة الروم، 30] فإذاً في فطرة الإنسان وشواهد القرآن ما يغني عن إقامة البرهان" (الغزالي، 1985).

وحول هذا المعنى يقول الإمام نظام الدين النيسابوري في تفسيره غرائب القرآن ورغائب الفرقان: " إنه كان من عقيدتي أن العلم بوجود الواجب في الخارج من جملة البديهيات وكان يستبعد ذلك كثير من أقراني وأصحابي لما رأوا أن الأقدمين ما زالوا يبرهنون على ذلك في الكتب الكلامية والحكمية" (النيسابوري، 1996).

ومن المعاصرين الذين لم يذكروا دليل الفطرة من بين الأدلة على إثبات وجود الله تعالى ولكنهم تعرضوا له في ثنايا كلامهم الدكتور قحطان الدوري حيث قال: " الاعتقاد بوجود الله تعالى، هو الفطرة التي فطر الناس عليها، أما الإلحاد فهو طارئ على الفطرة" (الدوري، 2007).

لهذا وغيره تجد الشيخ علي الطنطاوي يضع بين قواعد العقائد التي ذكرها في كتابه تعريف عام بدين الإسلام قاعدة مفادها: "في قرارة كل نفس بشرية إيمان فطري بالله أكيد" (الطنطاوي، 1989) ويدلل على ذلك بقصص واقعية حدثت تدل على ذلك.

كما لا يفوتني أن أذكر كلام من قال بدليل الفطرة على وجود الله حيث يعبرون عنه بأنه: " لجوء الإنسان إلى الفطرة السليمة التي هي مضطرة بطبعها إلى الإقرار بوجود الرب الخالق؛ وذلك لما تحتاج إليه النفوس من لجوئها إلى قوة عليا تستنقذ بها عند حلول المصائب بها" (الجليند، 2001).

كما يؤكد الشيخ محمد حسن صاحب كتاب الله بين الفطرة والدليل، حيث يقول: "إن الفطرة من أهم مصادر معرفة الإنسان بربه والإيمان به، وقد دفعته هذه الفطرة إلى الاعتقاد بضرورة وجود خالق لهذا الكون" (ياسين، 1975).

بعد هذا العرض لكلام العلماء حول الاستدلال بالفطرة على وجود الله تعالى، تجد أنهم اتجهوا إلى رأيين،

الأول: يقول بجواز الاستدلال بها على وجود الله تعالى.

الثاني: الذي يقول بعدم الجواز، لكنه يؤكد على قبول الفطرة لذلك وأنها متهيئة لقبول ذلك.

بعد التمحيص في كلا الرأيين تجد أن كلاً منهما أعطى للفطرة مكاناً لقبول الدين الحنيف الذي قال عنه الله تعالى:" {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ }[سورة الروم، 30].

وأختم هذا المطلب بكلام الإمام ابن تيمية حيث قال: " إن فقر المخلوقات إلى الخالق، ودلالتها عليه وشهادتها له أمر فطري فطر الله عليه عباده، كما أنه فطرهم على الإقرار به" (ابن تيمية، 1997).

إنها الفطرة التي التي لم يملك الكفار والمشركين إنكارها عند سؤالهم عن خالق السماوات والأرض، فقالوا الله.

قال تعالى: "وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ (61) اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (62) وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ

مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ " [سورة العنكبوت 61، 63].

المطلب الثاني: دلالة الفطرة على إثبات وحدانيته – سبحانه وتعالى –:

تعد الوحدانية من أهم مباحث علم العقيدة؛ كيف لا وقد سُمي العلم الذي يبحث فيها علم التوحيد، ولعلمائنا طرقاً متعددة في إثبات الوحدانية، أجملها بما يأتي دون إطالة لسهولة الوصول إليها في مظانها.

أولاً: الدليل النقلي:

وهو ما ثبت في النقل، كقوله تعالى: { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ } [سورة الإخلاص، 1]

ثانياً: دليل التمانع

استنبط العلماء هذا الدليل من قوله تعالى: { لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ} [سورة الأنبياء، 22].

فالناظر في الكون يجد فيه من الدقة والإتقان ما يُبهر العقول، وهذا يعود إلى القول بأنه لا يمكن أن يخرج هذا الكون بهذه الدقة إلا من إله واحد.

هذا وقد أكد لنا هذه الحقيقة رب العزة – جل وعلا – في كتابه قال تعالى: {مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ} [سورة المؤمنون، 91]

فلذلك علينا أن نحمد الله تعالى على وحدانيته قال تعالى: {وَقُلِ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَم يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ} [سورة الإسراء، 111].

علماؤنا بدورهم صاغوا هذا الدليل وبينوه، فقالوا في بيان دليل التمانع:

"وهو أنه لو وقع شيء بإيجاد الغير وفرضنا تعلق قدرة الله تعالى وإرادته بضد ذلك الشيء في حال إيجاد الغير ذلك الشيء كحركة جسم وسكونه في زمان بعينه فإن وقع الأمر، إن جميعاً لزم اجتماع الضدين، وإن لم يقع شيء منهما لزم عجز الباري تعالى وتخلف المعلول عن تمام العلة وخلو الجسم عن الحركة والسكون، وإن وقع أحدهما لزم الترجيح بلا مرجح." (التفتازاني، 2001)

ثالثاً: شهادة الله تعالى على ذلك

قال تعالى: {شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ } [سورة آل عمران، 18]، ولا يوجد في الكون أعظم شهادة من شهادة الله تعالى { قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللّهِ شَهِيدٌ بِيْنِي وَبَيْنَكُمْ } [سورة الأنعام، 19].

رابعاً: الدليل العقلي

وهو ما استند إلى الحجج العقلية كنفي الكموم الخمسة. وهي: " الكم المتصل في الذات وهو تركبها من أجزاء، والكم المنفصل فيها، وهو تعددها بحيث يكون هنالك إله ثان فأكثر، وهذان الكمان منفيان بوحدة الذات، والكم المتصل في الصفات وهو التعدد في صفاته تعالى من جنس واحد كقدرتين فأكثر، والكم المنفصل في الصفات وهو أن يكون لغير الله صفة تشبه صفته تعالى، كأن يكون لزيد قدرة يوجد بها أو يعدم بها كقدرته تعالى، أو إرادة تخصص الشيء ببعض الممكنات، أو علم محيط بجميع الأشياء؛ وهذان الكمان منفيان بوحدانية الصفات، والكم المنفصل في الأفعال وهو أن يكون لغير الله فعل من الأفعال على وجه الإيجاد، وإنما ينسب الفعل له على وجه الكسب والاختيار. وهذا الكم منفي بوحدة الأفعال" (البيجوري، 2007).

خامساً: الفطرة

تُعد الفطرة واحدة من الطرق التي توصلنا إلى الإقرار بوحدانية الله تعالى، كيف لا وقد ذكر لنا القرآن ذلك، ففي معرض حديثه لإثبات الوحدانية في سورة النمل ذكر لنا رب العزة – جل وعلا– سؤالاً خاطب فيه وجدان الإنسان وفطرته؛ حتى يستدل بفطرته على وحدانية الله تعالى، فقال جل وعلا: {أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ} [سورة النمل، 62].

لا بل ترى هذا المعنى ذكره رب العزة – جل وعلا – في موضع آخر حيث قال: { وَإِذَا مَسَّكُمُ الْضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإِنْسَانُ كَفُورًا } [سورة الإسراء، 67].

وحول هذا المعنى وتحت عنوان الدليل الوجداني كدليل على إثبات وجود الله، يقول الدكتور عزمي طه: " إن كل واحد من هذه المواقف المذكورة – يعني التي فيها شدة –، ينتهي بصاحبه – بشكل غامض – إلى الشعور القوي الواضح الذي لا شك فيه عند صاحبه بوجود الله – سبحانه وتعالى–. وهذا دليل ذاتي يرجع إلى النظر في النفس وأحوالها" (السيد، 2002). هذا الكلام يفيد في إثبات الوحدانية لله تعالى كما يثبت وجود الله تعالى.

نعم الإله الحق الواحد يلجأ إليه الإنسان عند شدته، وهذا هو الصادق المصدوق نبيناً محمد – عليه الصلاة والسلام – يبين ذلك أيضاً من خلال محاورته مع عمران بن الحصين – رضي الله عنه– قبل إسلامه عندما قال له:" كم لك من إله؟ قال سبعة، قال فمن لغمك وكربك ودفع الأمر العظيم إذا نزل بك من جملتهم؟ قال الله، قال – عليه الصلاة السلام –: مالك

من إله إلا الله" (الترمذي، 1987).

فالإنسان عبر الأزمنة المتعددة كان يقر بالوحدانية في فطرته وإن كان قد أظهر الإشراك؛ فقديماً كانوا يقرون بإله أعلى أو أعظم مع شركهم بالله، ولكن عند الشدة يتركون ما أشركوا بالله ويعترفوا بالإله الحق – جل وعلا – وما حدث مع فرعون إلا أكبر دليل على ذلك، فهذا الذي كان يدعي الإلوهية ماذا قال عندما أدركه الغرق اسمع إلى قوله تعالى: { حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ } [سورة يونس، 90].

وحول تأكيد هذه الحقيقة يقول الدكتور محمد عبد الله دراز:" إن كثير من أصحاب الدراسات الإنسانية والاجتماعية لاحظوا وجود عقيدة التوحيد لدى بعض القبائل البدائية المنعزلة عن الحضارة، وهي قبائل متفرقة في مواطن كثيرة من الأرض كأستراليا وأمريكا، وقد انتهت هذه الدراسات إلى أن الروح الإنسانية إذا كانت قادرة على أن تعرف الله فإنه يجب أن تكون قادرة على إدراك أنه لا يوجد إلا إله واحد" (دراز، 1980).

ومن الأدلة التي ذكرها لنا رب العزة – جل وعلا – في كتابه القرآن الكريم التي تفيد أن ما يستقيم مع الإنسان وفطرته أن يعبد إلهاً واحداً وليس آلهة متعددون قوله تعالى: { ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاء مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} [سورة الزمر، 29].

يُستفاد من هذه الآية أن الذي يتناسب مع فطرة الإنسان أن يعبد إلهاً واحداً ليس أكثر؛ حتى يستطيع أن يعبده ويستجيب لأمره أما إذا تعددت الأوامر من قبل عدة آلهة كيف يستقيم هذا مع فطرته؟

عند تفسيره لهذه الآية يقول الإمام الطبري: " مثل الله مثلا للكافر بالله الذي يعبد آلهة شَتَّى، ويطيع جماعة من الشياطين، والمؤمن الذي لا يعبُد إلا الله الواحد، يقول تعالى ذكره: ضرب الله مثلا لهذا الكافر رجلا فيه شركاء. يقول: هو بين جماعة مالكين متشاكسين، يعني مختلفين متنازعين، سيئة أخلاقهم، من قولهم: رجل شكس: إذا كان سيئ الخلق، وكل واحد منهم يستخدمه بقدر نصيبه ومِلْكه فيه، ورجلاً مسلماً لرجل، يقول: ورجلا خُلُوصا لرجل يعني المؤمن الموحد الذي أخلص عبادته لله، لا يعبد غيره ولا يدين لشيء سواه بالربوبية" (الطبري، 1417 هـ).

من خلال ما سبق تستطيع أن تدرك مدى التوافق بين الفطر السوية والتوحيد لله تعالى، وقد صدق رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عندما أخبرنا عن ربه: " وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا." (مسلم، 1420 هـ).

هذا وقد اعتبر القرآن الكريم ما قاله النصارى من تعدد الآلهة ما هو إلا نوع من الغلو، البعيد عن الدين الحنيف والعقل السليم والفطرة السوية. قال تعالى: " يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا " [سورة النساء، 171].

" إذن الإقرار بوجود الخالق ووحدانيته – عز وجل – أمر فطري بدليل أن جميع المخلوقات تسبح بحمده وتقدس له،" (زكي، 2003) قال تعالى: " قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا (42) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا (43) تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (44) " [سورة الإسراء، 42 – 44].

نتائج الدراسة

بعد هذه الدراسة يمكن تسجيل النتائج الآتية:

أولاً: ألزم الله تعالى المكلف باستخدام عقله ليتوصل إلى إثبات وجوده وبعض صفاته ويسر له سهولة الوصول إلى تلك المعرفة بأن منحه فطرة سوية سليمة.

ثانياً: لو تُركت الفطرة دون مؤثرات خارجية لاهتدت إلى وجود ربها.

ثالثاً: الفطرة السليمة الباقية على أصولها مع العقل السليم المنضبط بالإضافة إلى الحواس والخبر الصادق مصادر يعاضد بعضها بعضاً للاهتداء إلى خالق هذا الكون وصفاته.

رابعاً: للفطرة دور كبير للتعرف على الخالق وبعض كمالته.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

ابن تيمية، أ. (1417هـ، 1997م) درء تعارض العقل والنقل أو موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول تحقيق: عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 8، ص361.

ابن تيمية، أ. (2011م) مجموع الفتاوى، خرج أحاديثه: عامر الجزار، دار الوفاء، المنصورة، ط 4، ج 2، ص 10، ج 1، ص38 – 39.

ابن عبد البر، ي. (1419هـ، 1999م) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، حققه وأخرج أحاديثه محمد عبد القادر عطا، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، م 7، ص 239.

ابن منظور، م. (1999م، 1419هـ) لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط 3، ج 10، ص 286، مادة فطر.

أبو البقاء، أ. كتاب الكليات، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري (1419هـ، 1998م) مؤسسة الرسالة، بيروت، ص 1105.

أبو خليفة، م. (2007م) مقدمة في أصول العقيدة، دار الهاني، ص83.

البوطي، م. (2013م) كبرى اليقينات الكونية، دار الفكر، دمشق، ص 65.

البيجوري، أ. تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد، ضبطه وصححه، عبد الله محمد الخليلي (1427هـ، 2007م) دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 3، ص 70.

الترمذي، م. (1987م، 1408هـ) سنن الترمذي، تحقيق كمال الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، كتاب الدعوات، باب 70، حديث رقم 3483، ج 5، ص 485 – 486.

التفتازاني، س. (1422هـ، 2001م) تقديم إبراهيم شمس الدين، شرح المقاصد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1 م 3، ص7–12، ج 2، ص 86.

الجاوي، م. (1374هـ، 1955م)التفسير المنير لمعالم التنزيل المسمى مراح لبيد لكشف معنى قرآن مجيد، ط3، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ج1 ص475.

الجرجاني، ع. (1983م) التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، ص 168، ص 104

الجسر، ن. (1969م، 1389هـ) قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 3، ص226.

الجليند، م. (2001 م) قضية الألوهية بين الدين والفلسفة، دار قباء، القاهرة، ص 33.

الجويني، ع. الشامل في أصول الدين، وضع حواشيه عبد الله محمود محمد عمر، منشورات محمد علي بيضون (1420هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1 ص 173 وما بعدها.

دراز، م. (1980م) الدين، دار القلم، الكويت، ص 83، ص 112.

الدوري، ق. (1428هـ، 2007م) العقيدة الإسلامية ومذاهبها، دار العلوم، عمان، ط 1، ص 308.

الرازي، ف. (1417هـ) التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 2، ج 1، ص 333.

الرازي، م. (1428هـ، 2007م) مختار الصحاح، دققه عصام فارس الحرستاني، دار عمار، عمان، ط 10، ص 251.

زكي، هـ. (2002 م) علم التوحيد بين الفطرة والضرورة العقلية، دار البيان، مصر، 2003، ص 169.

1السيد، ع. الفلسفة مدخل حديث، ص 146.

الطبري، م. (1421هـ، 2001م) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ضبط وتعليق محمود شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط 1، ج9، ص 132 – 133، ج 23، ص 248.

الطنطاوي، ع. (1989 م) تعريف عام بدين الإسلام، دار المنارة، جدة، ط 1، ص 47.

العسقلاني، أ. (1420هـ، 2000م) فتح الباري شرح صحيح البخاري، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط 1، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، رقم الحديث 1385، م 4، ص1847، كتاب الإيمان، باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة، حديث رقم 25، م 1، ص 102 – 103.

العقاد، ع. (1964 م) الله، دار المعارف، مصر، ط 4، ص 233.

الغزالي، م. (1405هـ، 1985م) قواعد العقائد، تحقيق وتعليق موسى محمد علي، عالم الكتب، بيروت، ط 2، ص 151 – 153.

الغزالي، م. (2004) إحياء علوم الدين، تحقيق: عصام عبد الرحيم، دار ابن الهيثم، القاهرة، م 1 ص 889.

الغزالي، م. المنقذ من الضلال، المكتبة الشعبية، بيروت، لبنان، ص40.

فوده، س. تهذيب شرح السنوسية أم البراهين، دار الرازي، عمان، الأردن، ط 2، ص 81.

الفيروز آبادي، م. (1301هـ) القاموس المحيط، ط 3، المطبعة الميرية، مصر، ج 2، ص 109، فصل الفاء باب الراء.

القرضاوي، ي. (2004م) الإيمان والحياة، مكتبة وهبه، القاهرة، ط14، ص 79.

اللالكائي، هـ. (1428هـ، 2007م) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2، ج2، ص 115.

محمود، ع. (1964م) التفكير الفلسفي في الإسلام، مكتبة الأنجلو المصرية، ج 1، ص 58.

محمود، ع. فلسفة ابن طفيل ورسالته حي بن يقظان، ط 2، مكتبة الأنجلو، القاهرة، ص 92.

ملكاوي، م. (1425هـ) عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، مكتبة الرشد، الرياض، ص 25.

النووي، ش. صحيح مسلم بشرح الإمام النووي، رقمه وخرج أحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي، حققه الشيخ عرفان حسونة (1420 هـ، 1999 م)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 1، كتاب الإيمان، باب الإيمان والإسلام والإحسان، حديث رقم ا، م 2، ص 15، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي

يُعرف بها في الدنيا أهل الجنة، رقم الحديث 2865، م9، ص129.
النيسابوري، ح. تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ضبطه الشيخ زكريا عميرات (1416هـ، 1996م) دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، ج5، ص411، ج 4، ص 175.
ياسين، م. (1975م) الله بين الفطرة والدليل، المكتب العالمي، بيروت، ط 3، ج 1، ص 38.

The Instinct: its Connotation and the Possibility of Using it as Evidence to Prove the Existence and the Oneness of God (Allah) – Almighty –

Khaleel Abdulhameed Al-Abadi*

ABSTRACT

This study addresses scholars' opinions about the instinct and the possibility of relying on it to prove the existence and the oneness of Allah –Almighty-.

The study includes an introduction to discuss the overall idea. Then the first section consists of subsections:

First: The literal meaning of the Instinct.

Second: The connotative meaning of the Instinct.

After this, the second section discusses the existence of Allah using the instinct. Then it deliberates how the instinct can be used to prove the Oneness of Allah.

Therefore, this leads us to the final conclusion that the instinct can be used to prove the existence and the oneness of Allah.

Keywords: The Instinct, The Oneness of Allah.

* The World Islamic Sciences and Education University, Jordan. Received on 3/11/2014 and Accepted for Publication on 22/3/2015.